رفض اقصاء المرأة فلسفياً
- تحطيم لخرافة منهجية مريحة-

د. باقر ابراهيم الزيدي
مدرس الفلسفة في كلية الاداب
جامعة واسط/العراق

"هؤلاء النساء هن لسن نساء على هامش الفلسفة، بل هن فيلسوفات على هامش التاريخ"

ماري الين ويث
تاريخ الفيلسوفات. ج1

المقدمة

هناك افتراض شائع جدا ولوقت قريب هو: ان مشاركة المرأة في حقل الفلسفة ضئيل جدا أو معدوم، على الاقل كان هذا الفرض متداولا بكثرة قبل القرن العشرين. على الرغم من ادراكنا ان المعايير "التاريخية" للفلسفة - حالها حال المعايير التاريخية للفن - هي معايير اعتباطية إلى حد كبير، هي معايير مصطنعة وليست معطاة لنا، ولكنها ترسخت بالممارسة الايديولوجية التي جعلتها تدعي انها متماشية مع "طبيعة" الاشياء. لذا فأننا نستطيع القول وبكل جرأة ان هذه المعايير متحيزة إلى حد كبير في استبعادها مشاركة المئات من النساء في كلا الميدانين.

والعمل الذي ترتكز علية هذه المقالة وهو استعراض ومناقشة لكتاب باحثة امريكية جادة، يحاول ان يصصح هذا الموقف الخاطىء، والخروج من تحت وطئة هذا التقليد الثقيل والطويل، معريا هذه المعايير من "طبيعيتها" المزعومة، اي انه يقوم

obeikandl.com

بـ De-Naturalization- اي تجريد وتعرية الاشياء من طبيعيتها المدعاة. فليس هناك ماهو طبيعي، في اي مكان فليس هناك الا ماهو تاريخي. على حد قول (رولان بارت).

وانا اتسأل انه من الغريب حقا احجامنا عن السؤال طوال دراستنا للفلسفة أو تدريسها عن مبرر غياب المرأة من هذا التاريخ الطويل، من هذا الميدان الفكري الواسع، إلى الحد الذي اصبحت معه كلمة فيلسوفة تبدو غريبة علينا سواء في الكتابة اوحتى عند سماعها.

فقد اعتدنا -اوالاصح هكذا عودونا وانا هنا لاادين جما عة محددة بعينها، بل إلى الممارسة - ان ننظر للفلسفة باعتبارها فعالية رجالية صرفة. وميدان لا يسمح باللعب فيه لغير الرجال. لكن الامر لم يعد كذلك الان.

اذ شهدت العقود الثلاثة الماضية أو اكثر قليلا، شهدت مراكز الثقافة العالمية انفجارا غير مسبوق في طبيعة وحجم المؤلفات الصادرة للاجابة عن هذا التساؤل. ليس في حقل الفلسفة فقط، بل وبالتوازي مع بقية حقول المعرفة مثل: التاريخ والادب، والفن، والطب. وطبعا ليس المقصود غيابها الان في عالمنا المعاصر، بل غيابها تاريخيا، بكلمة اخرى حين يتم تدوين تاريخ هذه الحقول المعرفية نجد ان هناك غيابا مريبا للمرأة عنها، واتضح لعديد الباحثين والباحثات ان المرأة غيبت من هذه التواريخ و لم تكن غائبة بشكل ارادي. وكانت الاعمال التي صدرت لمعاجة هذه المواضيع كانت بطريقة أو باخرى تنهج نهجا نقديا جذريا للتقاليد المتبعة في تدوين تواريخ هذه الدراسات.

لقد اصبح من الطبيعي الآن ان نسأل عن سر هذا الغياب عن حقل الفلسفة - دون ان نتجاهل بقية الحقول بالطبع لكن كون الفلسفة هي ميدان اختصاصي فأن البحث سيقتصر عليها - ويصبح السؤال اكثر الحاحا بالنسبة (للفيلسوفات) الان - لاحظ عزيزي القارىء كم يبدو غريبا وقع كلمة فيلسوفات لمن اعتاد ان يقرأ كلمة الفلاسفة طوال حياته فقط - اذ ان مشاركتهن الحالية في الميدان الفلسفي- وبالاخص في اوربا وامريكا - كبيرة وواسعة الامر الذي استدعى مراجعة أو اعادة تشكيل وقراءة شاملة لتاريخ الفلسفة، وكذلك مراجعة المعايير المتبعة في تدوينها.

ان (الفيلسوفات) سواء في اوربا أو امريكا مهتمات الآن اكثر من اي وقت مضى بنقدهذه المعايير الراسخة والرازحة لقرون في تصنيف طبيعة النشاط الفكري للبشر، والتي على اساسها كان يعد فكرا ما فكرا فلسفيا واخر لا. لقد احدث وجهة النظر النسويةهذه تحولا كبيرا في طرائق تفكيرنا حول الثقافة والفن والمعرفة. وقد سجلت ملاحظتين حول طبيعة هذه المعايير:

الاولى: – هي الاقصاء التاريخي الواعي للمرأة من هذا الحقل، فقد واجهت الفيلسوفات أو بالاحرى اصتدمت بالاعتقاد الرازح بانه لاتوجد فيلسوفة بمعنى الكلمة، وحتى ان كانت هناك، فأنها غير مهمة..

والثانية: – هو ان الفلاسفةكانوا دائما لديهم الكثير مما يقولنه عن المرأة، وما هن، وماهي طبيعتهن. ونجد المفاهيم الفلسفية مثل "العقل" و"الموضوعية" تعرف عادة كمقابل "للمادة "او في تناقض معها "واللاعقلانية" كانت دائما تعرف من خلال ارتباطها بالمرأة لانها عاطفية وبالتالي غير قادرة بالوفاء بشرط التفلسف الاساسي وهو العقلانية والموضوعية.

ان تقاليد الفلسفة والفلاسفة كانت تخبرنا ولو بشكل ضمني بأن الفلسفة هي نشاط عقلي وموضوعي وبالتالي فانها تتضمن استبعادا لكل ماهو خاص بالمرأة أو مرتبط معها. – تذكر عزيزي القارىء المقولة الشائعة جدا في حضارتنا الاسلامية، ان المرأة ناقصة عقل – الفرق هو ان حضارتنا صكت هذه المقولة لاسباب دينية. في حين ان الحضارة الغربية بررته فلسفيا.

وكردة فعل تجاه هذا الامر فان فيلسوفات المساواة بين الجنسين كان انتقادهن ذو شقين.

الاول: ضد الاستبعاد والاقصاء التاريخي من جهة.

والثاني: ضد النظرة السلبية لشخصية المرأة السائدة طوال تاريخ الفلسفة.

انه انتقاد يرتبط بمنهج مابعد الحداثة بكل تأكيد، المنهج الذي يحاول ان يعري الاشياء– المزعومة أو المفترضة. وهو مايقودنا De-Naturalization من طبيعيتها – الى رفض هذه الموضوعية المدعاة من جانب الفلاسفة في كل مؤلفاتنا واعمالنا، اذ يغدو كل ماموجود لدينا ماهو الا انشاء في انشاء، وتأويل في تأويل وتحيزات تؤطر طريقة تمثلنا للعالم والاشياء ليس الا.

ومن الاصدارات المهمة في المشاركة في هذه المراجعة أو اعادة القراءة لتـــاريخ الفلسفة هو صدور كتاب الباحثة الامريكية (ماري ايلين ويث Mary Ellen Waithe) الضخم الذي يقع في اربعة اجزاء.

(تاريخ الفيلسوفات – A-History of women philosophers) صدر الجزء الاول منه سنة – 1987 وبالتعاون مع مجموعة من طلابها."[1]

وهو بحث موسوعي ضخم ومدهش وغاية في الاهمية – وذلك حسب وصف مجلة هباشيا –Hapatia – الفلسفية حين احتفـــت بصـــدور الكتـــاب وقامـــت باستعراض اهم محتوياته، فضلا عن انها كرست العدد برمتـــه لاشـــكالية المـــرأة والفلسفة من جوانبها المختلفة.

لانه فضلا عن شموليته وموسوعيته فانه اقتحم حقلا معرفيا لم يدشـــن حينـــها بشكل واسع، وعد صدور هذا الكتاب مشاركة مهمة في زحزحة المقولة القـــارة في الاذهان باعتبار الفلسفة نشاط مارسه الرجال منذ بدئها واستمرهكذا طوال تاريخها. وبعد صدور الكتاب فتح الباب واسعا لبحوث اخرى كـــثيرة، ومـــؤخرا قامـــت اليونسكو باصدار مجلة باللغتين الفرنسية والانكليزية بأسم "الفيلسوفات" وهي متوفرة على شبكة الانتر نت. اعترافا منها بالمشاركة الفاعلة للمرأة في هذا الميدان الفكري.

والحقيقية ان جل المعلومات في هذا البحث مستقاة من هذا الكتاب وخصوصا الجانب الاحصائي منه. والكتاب متوفر على شبكة الانترنت– ليس مجانا – واعيـــد طبعه سنة 2008.

لقد كشفت "ماري ايلين"في كتابها عن مساهمة نسائية لايستهان بها، بل وفقا للاحصات المقدمة في الكتاب يمكن ان نقول انها كبيرة، هذه المساهمة تم تجاهلـــها

---

1 العنوان الكامل لكتاب ماري الين باجزائه الاربعة هو:

- History of Women Philosophers: Volume 1, "Ancient Women Philosophers" (published in 1987) covers- from 600 BC-to. 500 AD.
- Volume II, "Medieval, Renaissance and Enlightenment Women Philosophers" (published in 1989) covers the period from; 500-1600.
- Volume III, "Modern Women Philosophers" (published in 1991) covers the period 1600-1900,
- Volume IV, "Contemporary Women Philosophers" (published in 1995) covers from 1900- today.

عمدآ من قبل مؤرخي الفلسفة أو واضعي موسوعاتها. وانا اقـــول مســـاهمة لان الكتاب احصى كل من قامت بنشاط له علاقة بالفلسفة حتى وان كـــان ضـــئيلا، لكن المهم هو انه صادر عن امرأة.

ولكن يجب ان ننتبه إلى ان العمل يفرق بين ثلاث مجموعات من النساء تفصل بينهن مسافة يجب ان تاخذ بنظر الأعتبار عند الحديث عـــن الموضـــوع وهـــي: (الفيلسوفات – Women Philosophers)، (فيلسوفات المساواة بين الجنســـين – Feminist Philosophers) و(النسويات– Feminist).

وعمل ميري ايلين يهتم بالمجموعة الأولى، فهو لم يلتفت إلى النساء المناديـــات بالمساواة بين الجنسين (Feminist philosophers) ولا اللواتي كتبن الفلســـفة أو غيرها من حقول المعرفة كالادب مثلا بنغمة أنثوية (Feminist) تختلف عن طريقة تناول الفلاسفة لها. بل هو يهتم باللواتي تناولن الفلسفة بنفس الطريقة والعمق التي تناولها بها الفلاسفة، فقد تعاملن مع مشكلات الفلسفة التقليدية مثل (الاخلاق) أو (الميتافيزيقا) أو (الابستمولوجيا) أو غيرها من حقول الفلســـفة بـــنفس العمـــق والأحتراف. اي انها مهتمة بالفيلسوفات – Women philosopher

وترى المؤلفة كأن هناك تواطئا من نوعا ما حول اقصـــاء المســـاهمات الـــتي شاركت بها المرأة في حقول الفلسفة المختلفة. بالرغم مـــن ان كتـــاب تـــواريخ الفلسفةاو واضعي موسوعاتها ليس غريبين عن هذا الحقل بل يعرفون كل دقائقة، – أو افترض انهم يعرفون هذه الدقائق–. والسؤال هـــو: ان كـــانواهؤلاء الكتـــاب متبحرين بحقل الفلسفة فلم هذا التحيز الرجولي الواضح ضد المرآة. بحيـــث يـــتم استبعادها بهذا الشكل الفاضح؟تتسآل ميري الن.

وأود ان اذكر هنا ان الباحثة الامريكية ميري ايلين ليست مجرد باحثة طارئـــة تتعلق بأذيال الفلسفة، بل هي فيلسوفة محترفة فكرا وعملا، – واد هنا ان اذكر لمحة عن نشاطها الفلسفي وكما دونته هي في سيرة حياتها علـــى موقعهـــا في شـــبكة الانترنت. فهي حاليا استاذة كرسي الفلسفة في كليـــة الفنـــون الحـــرة والعلـــوم الاجتماعية. وايضا مديرة الدراسات النسائية في جامعة كليفلاند الحكومية.

ودرست الفلسفة في اماكن كثيرة ومتنوعة، اي انها وسعت من افق تـــدريس الفلسفة و لم يقتصر نشاطها على اقسام الفلسفة فقط. بل انها درست الفلسفة حتى

في المعاهد الطبية وكليات طب الاسنان، ودرست الفلسفة لنـــــزلاء المصـــحات النفسية، وتقول: انها حتى تنجح في مهمتها هذه، كان يتوجب عليهـــا ان تعـــرف الكثير مما هو اساسي في هذه الحقول العلمية، لذا فانها اصبحت مهتمة كثيرا بتاريخ الطب.

تقول انها تحاول ان تزرع في طلبتها حب التساؤل والفضول وبالاخص حول الاسئلة الفلسفية الاساسية: من نحن؟ وماهي طبيعة الكون الذي نعيش فية؟ وماهي الخصوصية التي يتمتع بها الجنس البشري في هذا الكون؟وكيف يمكن لنا ان نقـــوم ونتصرف بالشكل االصحيح.؟لانها ترى ان الفلسفة هي في الاصل تاريخ للاســئلة اكثر منها تاريخ للاجابة عن هذه الاسئلة.

وتقول ماري انها عادة ماتدير درسها الفلسفي بطريقة ديمقراطية فهي لاتملـــي المعلومات على طلبتها من موقع المتعالم بل المشارك لهم بذات السؤال، والباحـــث عن اجابة، وهي تعتقد ان هناك طريقتين لان ننتج فلسفة تتسم بالحيوية وتجـــذب اهتمام الاخرين.

الاولى: هو ان تدون افكارك كتابيا.

والثانية: هي ان توصل افكارك شفاهيا.

لذ فان طلبتي المتخوفين من الطريقة الاولى شجعتهم على اتباع الطريقة الثانية على الاقل كمرحلة ضرورية للطريقة الاولى. واصـــبح طلابـــــي مـــن الجـــرآة والشجاعة الكافية في التعبير عن افكارهم بصوت عالي ويتشـــاركون فيهـــا مـــع الاخرين.

عملها الاخير كان عبارة عن ترجمة لعمل فيلسوفة اسبانية عاشت في القـــرن السادس عشركتبت كتابا حول الطب، وانجزت ايضاقبل فترة وجيزة بحثا حـــول موقع هيلواز الفلسفي بالمقابل مع ابيلارد – كلاهما من العصر الوســـيط –وكـــان ابيلارد معلم هيلواس ولاحقا زوجها ثم راعيها الديني– ساعود إلى هـــذه الواقعـــة المشهورة لاحقا – وقد استمتعت كثيرا باكتشاف وجهات نظرهم من مراســـلاتهم المكتشفة مؤخرا واعمالهم المنشورة.

وسيكون عملها المستقبلي حول فيلسوفة فرنسية عاشت في القـــرن الســـابع والثامن عشرهي "اولمب دي كونت"، وكانت اعمالها تدافع بقوة عـــن حقـــوق

السود في ذلك الوقت المشرع للعبودية، حقيقية اود ان اعرف لماذا؟ أنـــا لا أُعلّـــمُ تأريخَ الفلسفةِ بدون ان اشير إلى مساهماتِ النِساءِ وغيرِ البيضِ في هذا التاريخ.[1]

– لكنها بخلاف الاخرين أو مما هو شائع في الدرس الفلسفي التقليدي حيث يتم التركيز على الشخصيات المعروفة في هذا التاريخ، فأن المؤلفة تتحـــرك علـــي حافات التاريخ المغيب للفلسفة ان صح التعبير، التاريخ المهمش. فهي لا تكتـــرث للتاريخ (الرسمي) سواء الذي دونه الفلاسفه عن اعمالهم ونشاطاتهم، والذي تفوح منه في الغالب رائحة السيطره والكبرياءوالادعائات المتحيـــزة، أو الـــذي كتبـــه المتخصصين من كتاب تواريخ الفلسفة أو واضعي الموسوعات والمعاجم المتخصصة.

انها تذهب إلى الهوامش من هذا التاريخ إلى المسكوت عنه والذي لم يدونـــه التاريخ الرسمي. فبحث ايلين يحاول ان يعيد صياغة المعاييرمن جديد اوعلى الاقـــل محاولة تنقيحها، المعايير التي على اساسها كان يعد مفكرًا مـــا فيلســـوفا محترفـــاً، وبالتالي يسمح له بالدخول إلى حضيرة الفلاسفة المحترفين.

وهذا العمل متميز بتفرده لأنه لم يسبق لأي من الحركات الفلسفية المعاصـــرة أن التفتت إلى هذا الأمر، أو أنه على الأقل كان أحد مشاغلها.

وحتى مابعد الحداثة كانت تسير في ذات الاتجاه "الذكوري "والذي لم يعـــد موجودا الان – كما اعتقد – وذلك بتاثير الحركات النسوية التي حولت الحـــس المابعد حداثي بالاختلاف إلى حس جذري وجردت طبيعة الفصل بـــين الخـــاص والعام في الكتابة التاريخية وبين الشخصي والسياسي. ومع ذلك ظلت هناك مقاومة مهمة لاي مطابقة مابين المابعد حداثي والنسوي.[2]

فقد كانت المعايير "المفتعلة" تتيح لمؤرخي الفلسفة عمليـــة انتقـــاء اعتباطيـــة للفلاسفة من بين مجموعة كبيرة من المفكرين وبالتالي اعتباطية من يحظـــى منـــهم باللقب المجلجل(فيلسوف). فيصبح من العبث البحث في هذه الأعمال عن أسمـــاء نسائية.

---

1 المعلومات السابقة عن المؤلفة مأخوذة من موقع كلية الفنون الحرة والعلوم الاجتماعية وهو: CSU Faculty Profile. E:/detail.cfm.htm

2 ليندا هتشيون، سياسة مابعد الحداثة، ت، حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمـــة ط1. بيروت 2009، ص 279.

لكن عمل ميري ايلين يكشف بشكل جذري عن حضور النساء طوال تاريخ الفلسفة، ليحطم بذلك عبودية الأستبعاد والاقصاء التي كانت تـــروج لمقولـــة ان الفلسقة كانت وما زالت تتضمن بعدآ يجعلها حكرا على الرجال فقط.

اذ انها تقوم بعملية (تجريد – De- Doxification) وتعرية المزاعم المتأصلة في تدوين تاريخ الفلسفة، والمصطلح – Doxy – يعني ان هناك عقائد ثابته وجامدة أو "طبيعية" لايمكن تغييرها فأذا اضفنا اليه السابقة –De– فانه يعني اننا سنقوم بتعرية ونقد هذه العقائد وتجريدها من "طبيعيتها" المزعومة لتبدو لنا في النهاية امامنا بأنهـــا ليست سوى ايديولوجيات من صنع البشر حول البشر [1]

ان المابعد حداثي يكون تدخله عاملا حاسما في تعرية هذه المعتقدات الراسخة، لانها في المقام الاخير عبارة عن شكل من اشكال السرد وقد تجمـــدت بالممارســـة الايديولوجية، وبالتالي فأنها ربمـــا تشـــكل واحـــدة مـــن الســـرديات الكـــبرى – grand narrative – التي يعمل الفكر المابعد حداثي على تفكيكها.

واتضح للباحثات ان سر هذ النظرة المتحيزة الـــتي ســـادت طـــوال تـــاريخ الفلسسفة الغربية هي بالاساس ترجع إلى ما قولبه ارسطو من اراء حـــول المـــرأة اصبحت هي المرجع طوال هذا التاريخ مثلما كانت بقية ارائه.

فقد وضع ارسطو نظرية فلسفية حول المرأة تستمد دعامتها الاساسية مـــن الميتافيزيقا، ثم يطبقها في ميدان البيلوجيا، والسياســـة والاخـــلاق. ان الصـــورة التي رسمها ارسطو عن المرأة بالغة الاهمية وذات اثر هائل فقد ترسبت في اعمـــاق الثقافة الغربية، واصبحت هي الهادي والمرشد عن النساء في الثقافة الغربية بصفة عامة.[2]

ان فلسفة ارسطو مبنية على عدد من المبادىء الميتافيزيقية التي لايحيد عنها في كل مؤلفاته منها هيراركية (تراتبية) الكون وكل مافيه من موجودات من الادنى إلى الاعلى، والصورة والمادة، والوظيفة. فاذا كانت الهيراركية سائدة في الكون اجمـــع

1 المصدر نفسه، ص 17–18.

2 Susan G. Woman from the Greeks to the French revolution. p. 17 والنص ماخوذ من كتاب امام عبد الفتاح امام، ارسطو والمرأة، ص 7، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى. 1996.

فانه من الطبيعي ان تسود في الموجودات البشرية ايضا، فلابد ان تكون هناك مراتب وموجودات يعلو بعضها بعضا على نحو ماهو قائم في الكون تماما.

ان جميع الموجودات هي في خدمة الانسان لانه اعلاها لانه يتربع على قمة التسلسل الهرمي للموجودات تحت فلك القمر.

ان الطبيعة هي التي رتبت الامور على هذا النحو، وهي التي حددت لكل موجود وظيفته التي يخدم يها الموجود الاعلى، وهكذا كانت النساء "بالطبيعة "ادنى من الرجال وكانت وضيفتها خدمة الرجال، ولهذا كان من الطبيعي ان يحكمهن الرجال، وكل هذه الامور تجري وفقا للطبيعة، وليست بالعادات، والعرف، والتقاليد. وحتى ان كانت هذه الاوضاع نتاج للعادات فانها مع تكرارها تتحول إلى طبيعة. ومن هنا كانت معارضة ارسطو العنيفة للسوفسطائية التي ذهبت إلى ان جميع الاوضاع الاجتماعية ومنها القيم الاخلاقية، انما هي وليدة العرف والتقاليد.[1]

ان دونية المرأة هي صدى لافكار ارسطو الميتافيزيقية عن الهيراركية والوظيفة، والصورة والمادة، فالمرأة هي "هيولى" فهي لاتقدم في عملية الانجاب سوى المادة الخام في حين ان الرجل هو الذي يعطي الصورة التي تبعث الحياة في هذه المادة. وحين يكون المولود انثى فان هذا انحراف في الطبيعة، ان المرأة هي رجل غير مكتمل انها "تشوه خلقي.[2]

ويسخر رسل من راي ارسطو: ان المرأة ناقصة عقل لان اسنانها اقل من اسنان الرجل. ويقول: ان ارسطو بالرغم من انه تزوج مرتين فانه لم يتجشم عناء البحث في فم احدى زوجاته ليتأكد من ذلك.

لقد قدمت اراء ارسطو ونصوصه حول المرأة مبررا قويا لفيلسوفات المساواة بين الجنسين في الهجوم عليه، وعلى كل التراث الذي تبعه، لكن هذا لم يعفي في نظرهن من سبقه وبالاخص افلاطون لانه يضع المرأة في بعض محاوراته في مرتبة ادنى وخصوصا محاورة "طيماوس "والقوانين" على الرغم من معلمه ومثله الاعلى في الفلسفة "سقراط" كان للنساء دورا في تعليمة وباعترافه هو.

---

1 امام عبد الفتاح امام، ارسطو والمرأة، ص 29.

2 برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ت: زكي نجيب محمود، لجنة التاليف والنشر، القاهرة، 1978 ط3. ص 264

وحتى "كانت" لم يسلم من هجومهن بل ايضا رأن في كتاباته تحيزا وتمييـــزا واضحا بشقية، الجنسي، والعنصري تجاه النساء.[1]

والحقيقة اني لاجد الامر غريبا من أن الأساطير القديمه كانت دائمـــا تقـــرن المعرفه والحكمة بالمراة، وفي ذات الوقت تحط من مكانتها بشكل سافر. فنحن نجد مثلافي تراثنا السومري بأن المرأة هي التي تعرف الاسرار، فقد تجاهـــل كلكـــامش تحذير (سيدوري) صاحبة الحانه من عبور بحـــر المـــوت طلبـــا للخلـــود. فقـــد كانت(سيدوري) تعرف السر وقد كشفته امام جلجامش، الا انه كان مصرا على اتمام رحلته فلم تسقه سيدوري من خمرها وهي صاحبة الحانه، لذا فشل جلجامش في نيل الخلود.[2]

وعلى عكس كلكامش كان صديقه (انكيدو) وهو مخلوق من قطعة صلصال، عملته الاله بيدها، ورمته في السهوب، لايعرف شعبا ولا وطنا، يقضم العشب مع الغزلان (برفقة قطيعه كان يرتاد المياه، ومع الحيوات كان يرتوي)، إلا أن الغانيـــة (شمخات) هي التي تجعله يعرف السر، وذالك بعد ان جامعها لستة ايام وسبع ليال فتفتح عقله وصار صاحب ذكاء، واخيرا قالت له الغانيه انت عاقل يـــا انكيـــدو غدوت مثل اله.[3]

ويمكن تجميع شظايا كثيره من الاساطيرومن مختلف الحضارات تبـــدو فيهـــا المرأة، مصدرا للحكمة، وحاملة اسرار المعرفة الصحيحة؛ ففـــي تراثنـــا الـــديني الاسلامي هناك اشارة إلى المراة التي غلبت الملكين هاروت ومـــاروت، فملكـــت معرفة السر الاعظم، فصعدت به إلى السماء، وتحولت إلى كوكب الزهره. وهناك الكاهنات في فضاء الجاهلية قبل الاسلام. حتى نصل إلى قمة الرمز المعرفي (حـــواء) التي هي اول من اكل من شجرة المعرفه المحرمه، فعرفت السر، سر الخلـــود الـــذي حولت به ادم إلى الانسانيه. ان عملية المعرفة في الاساطير القديمه كانت تتم دائمـــا عبر المراه.

---

1 انظر موقع – Stanford Encyclopedia of Philosophy على الانترنـــت، مـــادة، Feminist History.

2 ديوان الاساطير – سومر واكاد واشور، ترجمة قاسم الشواف، دار الساقي، بيروت –ط 1الجزء الرابع، ص389-

3 ديوان الاساطير 428-281-4

ولا يمكن ان نتجاهل رمزية ان يكون لمعبد دلفى في اليونان القديمة كاهنة، وهي التي ذهب اليها سقراط فقالت له الكلمه الشهيره (اعرف نفسك). لكن هذه الرمزية لم تتحول إلى انصاف للمشاركة الفعلية للمرآة في ميدان الفلسفة.

لذا فان المعلومات والوثائق التي قدمتها ماري في كتابها، تتضمن الكثير من الحقائق والأرقام ألمدهشه، حيث تخبرنا انه كانت هناك (16) فيلسوفة على الأقل في العالم اليوناني والروماني القديم، وفي المقدمة تاتي فيلسوفات المدرسة الفيثاغورية في القرن الخامس قبل الميلاد، مثل(ارغونت- **Arignote**) (ثيانو -**Theano**) وهي زوجة فيثاغورس التي حاولت تفسير عبارة فيثاغورس "العالم عدد ونغم" وقالت بتناغم الأدوار وخلودها. وعرفت أيضاً الفيلسوفتين ابنتيهما (دامو، **Damo**) التي درست طبيعة العدد والهارمونية أو العلاقات والنسب والرياضية بين الأشياء. و(ميا **Myia**) التي حاولت تطبيق الهارموني الفيثاغوري الكوني، في عالم الأسرة وتربية الطفل، وقالت بضرورة مراعاة الوسط في تربية الطفل، ولخصت بذلك تصور الاعتدال أو الوسط، وقد استبقت فكرة ارسطو الشهيرة في ميدان الأخلاق المسماة (بالوسط الذهبي). وتشير الباحثة إلى ان هناك احتمال ان تكون واحدة من نساء المدرسة الفيثاغورية المتأخرات وهي (برستوني - prictione) ربما تكون ام افلاطون.

وقد كتبت ماري معلقة في المقدمة: اذ نحن اقتصرنا على النساء في المدرسة الفيثاغورية، فأننا لن نجد غير اختلافات ضئيلة جدا في طريقة تناولهن للفلسفة عن رفاقهن في نفس المدرسة. فقد كان كلاهما يبحثون في الاخلاق، والميتافزيقا، والفلك، ونظرية المعرفة، وغيرها من ميادين البحث الفلسفي. فيصبح التجاهل والاقصاء مسألة ليست بريئة على الاطلاق.

لكن كم هي شحيحة المعلومات حول هؤلاء النسوة. المتاتي اصلا من الغموض الذي يحيط المدرسة الفيثاغورية كموضوع اشكالي في الفلسفة اليونانية. اذ من المعروف ان فيثاغورس لم يدون بنفسه شيئا من افكاره، ولما كام اتباعه قد نسبوا اليه افكارهم الخاصة، على سبيل الولاء، فأن نسبة الافكار أو تقييمها بالنسبة لهؤلاء النسوة، هو من الصعوبة بمكان. وكدليل عرضي على التجاهل من قبل واضعي الموسوعات الفلسفية، فأن موسوعة الفلسفة الصادرة باللغة الانكليزية بعشرة اجزاء لم تشر اليهن اطلاقا في مادتها حول فيثاغورس.

ومن أشهر فيلسوفات اليونان القديم التي عرفت برفضها لوضع النساء في ذلك المجتمع(اسبازيا) التي توفيت عام 140 ق. م. وكانت قد افتتحت مدرسة لتعليم الفلسفة والخطابه –فهي التي علمت سقرط البلاغة والخطابة– وشجعت بجرأة عظيمة خروج النساء من عزلتهن وحصولهن على تربية عالية؛ والتحقت بمدرستها كثير من فتيات الطبقة العليا، وكان يحضر محاضراتها فلاسفة من بينهم بركليز وسقراط، وأن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا، وان سقراط قال: بأنها هي التي علمته فن البيان، وقد اهمت بعدم تعظيم آلهة اليونان وقدمت للمحكمة التي برأتها بعد دفاع برلكيز المجيد عنها، في حين لم ينجو سقراط. وعادة ماتقدم (اسبازيا)بعتبارها هي من كتبت خطاب الرثاء في مأتم بركليز وهو مذكره افلاطون في محاورة (مينكينوس)– وهي من محاورات الكهولة التي تعالج موضوع الخطابة والبيان وتعد (ديوتيما) وهي ايضا من معلمات سقراط من أشهر فيلسوفات اليونان، وقد ذكرت في محاورات افلاطون السقراطية. عاشت حوالي عام 400 ق. م.، وقد ذكرت في محاورة (المأدبة) على لسان سقراط، والدور الذي لعبته في درء خطر الطاعون عن أثينا، كما جاء على لسانه في تلك المحاورة "من أجل هذا يا ديوتيما سعيت إليك فأنا في حاجة إلى معلم"، كما اشتهرت بفلسفتها في الحب، وذكرها كلمنت السكندري في مؤلفاته.[1]

وهناك فيلسوفة يونانية شهيرة هي (هيبارشيا –Hipparachia) المولودة سنة 346 ق. من عائلة ارستقراطية والتي عرفت بفضولها المعرفي وضيقها بالاعمال التقليدية المنوطة بالمرأة في المجتمع اليوناني القديم، وكان فضولها نحو الفلسفة اتى من ان لها أخ كان يدرس فلسفة ارسطو في اللوقيون وكان معلمه هو ثيوفراطس وكان هذا المراهق الصغير غير سعيد بوجوده في اللوقيون، لذا فقد انتقل للدراسة مع "الكلبيين" وبالاخص مع "كريتوس" وكانت اخته مواكبة له طوال دراسته، ومن هنا نشأ تعلقها بالفلسفة، ومن المعروف عن "الكلبيين" برمهم بالتفكير النظري، وانهم فقط ينشدون السلوك الذي يفضي إلى اكبر قدر من السعادة، و لم تكتفي هباشيا بالاعجاب بفلسفة الكلبيين، بل انها وقعت في غرام معلم اخيها "كريتوس" بالرغم

1 MARY ELLEN, AHISTORY ---, VOL.1, PP. 60-40

من انه كان رجلا عجوزا، وسيء السمعة. لكنها بالرغم من ذلك تزوجته واصبحت ترافقه علنا، ضاربة عرض الحائط بكل اعتراضات عائلتها. محولة الافكار إلى سلوك عملي من خلال تحديها للثقافة والسياسية اليونانية التي كانت سائدة ويمكن ان نصف سلوكها بالثورية انطلاقا من هذه الجرأة، وقد دخلت في مناظرة مع "ثيودورس" وهو احد معلمي الفلسفة في ذلك الوقت وتغلبت عليه و لم تكن خجلة من دفاعها عن سلوكها وافكارها، واحتقارها للوضع التقليدي للمرأة الاثينية.[1]

أما في الفترة من 500- 1600م وهي الفتره التي تشمل العصر الوسيط وبداية عصر النهضه، فتحصي ماري في كتابها (17) فيلسوفة، فمن فيلسوفات العصر الوسيط، (جوليا): فيلسوفت سوريا.

عاشت (جوليا دونا 170- 217م) أو جوليا الفيلسوفة كما يطلق عليها مؤرخو القرن الثالث الميلادي في سوريا وتحديدا في مدينة "حمص "وهي تنحدر من عائلة دينية عالية المقام، تعبد الشمس؛ لكنها اصبحت زوجة لامبراطور روما (سفيروس سنة -193م) وكانت تشاركته في إدارة الدولة. أنشأت جوليا حلقة ثقافية ضمت فلاسفة من مدارس مختلفة، لكنها لم تعرف من هذه الناحية بل عرفت عند المؤرخين باعتبارها الامبراطورة اذ كانت صورتها تسك على العملة الرومانية. لكن حقيقة انها اعادت للفلسفة حضوتها السابقة بعد ان نكل نيرون بالفلاسفة، وكان اهتمامها منصباً على الرياضيات والفلاسفة والفيثاغورين والتنجيم، الذي اخبرها انها ستتزوج ملكا وهذا ماكان.

وحين تحولت الامبراطورية الرومانية إلى المسيحية، سادت ثقافة المساواة إلى حد ما، اذ نجد ان جميع المصادر في المسيحية المبكرة تتحدث عن ان المرأة مساوية للرجل روحيا نلذا فيس مفاجئا لنا ان تتسنم المرأة في هذه الفترة مناصب قيادية أو انخراطها في التعليم أو الادارة حالها حال الرجال. وبرزت في الفترة من 330- 389م اثنين من النساءكامثلة اساسية لهذه الثقافة عرفن بذات الاسم هو (ماكرينا – Macrina) لكن يجب التميز بينهما اذ الاولى هي الجدة وتسمى ماكرينا الكبرى Elder والثانية هي ماكرينا الصغرى – younger وهي حفيدتها.

---

1 Ranft, Patricia. A Woman's Way. New work. 1994. p. 26

والعائلةَ معروفةٌ في التأريخِ المسيحيِ باعتبارها عائلة قديسين. فقدكان هنـــاك ستّة قديسين في هذ العائلة. وعرفت الاولى منهن بتعليمها الممتـــاز واستشـــاراتها السديدة، لكن لم يصلنا شيء من كتاباتها الفلسفية، وكل مانعرفه عنها اتنـــا عـــن طريق مادونه احد احفادها عنها، ويخبرنا هذا الحفيد انها كتبت فلسفتها على شكل محاورات ومن أشهر محاوراتها محاورة (النفس والقيامة)، ونادت بالمساواة بين الرجل والمرأة قائلة: "جوهر النفس هو قدرتها على التفكير العقلي ولا فرق في ذلك بـــين الرجل والمرأة.."، وقد دافعت كغيرها من فلاسفة العصر الوسيط المسيحيين عـــن نظرية البعث والقيامة، وعرفت بالزهد والتنسك.[1]

لذا فانها تعد اليوم في الكنيسة المسيحية كراعية للارامل وشـــفيعة للفقـــراء، وهناك عيد باسمها في شهر 12 من كل سنة.

اما (هيباشيا-Hypatia) فيلسوفة الإسكندريةالتي ولدت عام 370م، وكـــان ابوها محبا للفلسفة ومديرا لمتحف الاسكندرية. وأدرجـــت في دائـــرة المعـــارف البريطانية باعتبارها فيلسوفة مصرية. اشتهرت كعالمة في مجال الرياضيات، وعينـــت في المتحف برغم اختلاف دينها عن الدين الرسمي للدولة فهي يونانية الديانـــة- اي وثنية، والدولة مسيحية وكانت هذه الفترة شهدت توترا بين المسيحية والـــديانات اليونانية والرومانية القديمة لكنها حضيت باحترام الجميع نظرا للاقبال الكبير الذي كانت تشهده محاضراتها لما تتمتع به من مهارة في التبسيط، ولو ان هذا الامـــر لم يستمر طويلا. كانت تدرس وتلقي محاضرات عن مـــذهب أفلاطـــون وأرســـطو واصبحت رأس مدرسة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية، مما جلب لها معـــاداة رجال الكنيسة بدعوى نشر أفكار ضد المسيحية. وفي مارس 540م اعترض طريقها مجموعة من رهبان المتعصبيين واخرجوها من عربتها وجروها إلى كنيسة قيصرون، حيث قام الرهبان بتجريدها من ملابسها وتقدم احد الرهبان بـــذبحها عاريـــة، ثم قامت مجموعة أخرى من الرهبان بتقطيع جسدها العاري إلى أشـــلاء وكشـــطوا اللحم عن العظم، ثم اخذوا اعضائها المقطعة واحرقوها عند شـــارع ســـينارون في الاسكندرية.[2]

1 MARY ELLEN, AHISTORY ---, VOL. 11, PP. 121-30

2 زكي نجيب محمود، في مفترق الطرق، ص 58، دار الشروق، 1995

ونعود مرة اخرى إلى (هيلواز) عاشقة الفلسفة وعاشقة معلمها في ذات الوقت الفيلسوف "ابيلارد"، فقد كانت هناك قصة حب صاخبة بينهما اذ كلف بتعليمها الفلسفة، لكنه وقع في غرامها واقنعها بالفرار معه من الدير، وقبض عليه اخوتها فيما بعد والقي به في السجن بعد ان اخصوه فكتب وهو في السجن (تاريخ نكباتي) لكنه تزوجها في النهاية، وقد قامت ماري الين بتحقيق واصدار الرسائل المتبادله بين هذين الفيلسوفين العاشقين وهي رسائل لم تعرف من قبل. اما في الفترة من 1900 – 1600 وهي الفتره التي يغطيها الجزء الثالث من كتابها فان ماري الين تشير إلى وجود اكثرمن ثلاثين فيلسوفه.

أما في القرن العشرين فقد تبين أنه من بين (14) فيلسوفا معترفآ بهم كفلاسفة محترفين وذلك وفقا للمعايير المتداولة للتصنيف عند مؤرخي الفلسفة، توجد ثلاث فيلسوفات يصعب علينا ان ننكر أنهن على درجة كافية من الأحتراف. وهن كل من (ماري ولستون كرافت)، (وحنّه آرنت)، (وسيمون دي بوفوار). لكن قولنا انهن محترفات لايعني ان يتم أدراجهن ببساطة في كتب تاريخ الفلسفة أو في المقررات الدراسية في اقسام الفلسفة في الجامعات المختلفة وينتهي الموضوع، بل هي دعوة إلى المساواة بين الجنسين في الفلسفة والالتفات إلى المسكوت عنه في هذا التاريخ.

ولبيان مدى التحيز والتسلط الرجولي على الفلسفة أو لنقل بكلمة أوضح الانحياز الرجولي نذكر إن الموسوعة الفلسفية التي صدرت عام 6719 في خمس مجلدات كبيرة وتضم عشرة أجزاء، تضم ما يقارب 900 مدخل عن الفلاسفة، فانه لا توجد مقالة واحدة من بين هذه المقالات من تناولت أيآ من الفيلسوفات الثلاث المشار اليهن قبل قليل، بل ان فهرست أعلام الموسوعة لا يتضمن أي اشارة سواء إلى سيمون دي بوفوار، أو ولستون كرافت في كل اجزاء الموسوعة باستثناء اشارة صغيرة إلى حنة آرنت في مقالة تناولت مفهوم السلطة وهو الميدان الذي برعت فيه آرنت.[1]

1 الموسوعه المقصوده هي: The Encyclopedia of philosophy- Macmillan company, New York, 1967.– لكن الموسوعة تداركت هذا الخلل في طبعتها الثانية التي صدرت سنة 2006 – اذ اشارت في الدعاية الاعلانية لها والمنشورة على موقع الموسوعة الالكتروني إلى ان الطبعة الجديدة تتضمن مقالة عن مشاركة المرأة في الفلسفة وتتفرع من هذه المقالة عشرة مقالات فرعية.

وقد لاحظت احدى الباحثات ان الفيلسوفات المشار اليهن اعلاه وهن الاكثر حضا في قبولهن في نادي الفلاسفة المحترفين. لا يمتلكن رؤية مؤحدة تجاه هذا الموضوع، فقد كانت حنة آرنت تشكل موضوعا استفزازيا بالنسبة للمناديات بالمساواة بين الجنسين وذلك لانها كانت تنتقد هذه الحركة اصلا، بينما ولستون كرافت وبوفوار منخرطات فعليا في هذه الحركة. فقد كانت ولستون كرافت تدافع عن تعليم المرأة متخذة مبادىء عصر التنوير كمرجعية لها. في حين كانت بوفوار في كتابها (الجنس الثاني) تعكس جذورها الماركسية والوجودية.[1]

واذا ما تجاوزنا معايير واضعي الموسوعة والتفتنا إلى المراجع التي تهتم بتاريخ الوجودية أو الفلسفة السياسية مثلا، لرأينا انه غالبا ما يتم ادراجهن على استحياء وأحياناً بصورة هامشية.[2]

لذا فان هذا العمل لايدعو إلى المساواة بين الجنسين في الفلسفة فقط، بل ويدعو إلى تغيير المعايير المتبعة في تدوين تاريخ الفلسفه جذرياً. انه تصحيح لموقف خاطىء يتداول بشكل "طبيعي" في الاوساط الاكاديمية.

انه عمل أصيل حقاً، حيث أسس وبقوة لمقولة حضور النساء في الفلسفة بالرغم من الاقصاء الروتيني والمتعمد لهن من قبل مؤرخي الفلسفة وواضعي موسوعاتها، لانه ان كان يبدد وهمنا جميعاً عن تاريخ الفلسفة، فانه وبالدرجة ذاتها يبدد وهم الفلسفة عن نفسها بأنها فعالية رجالية محضة، وأنه لا حضور للمرأة فيها، ولاحتى في المواقع الخلفية، بدعوى إن المرآة لا تكترث للسعي في طلب الحقيقه، لانها لاتستطيع ان تمتلك ناصية "الموضوعية" والرجال وحدهم هم محبو الحكمة "والموضوعيون جدا". وهذا تصورفضلا عن انه خاطىء تماما فأنه مؤذ وجارح خصوصاً بالنسبة إلى اللواتي يطمحن ان يكن فيلسوفات.

---

1 Honig Bonnie. Feminist Interpretations of Hannah Arendt, the Pennsylvania state University Press. 1995. p. 57.

2 كتاب جون ماكوري (الوجوديه) الذي ترجمه امام عبد الفتاح امام والذي يؤرخ للوجوديه بالتفصيل فيما يقارب 500 صفحة، لم يشر إلى سيمون دي بوفوار ولو لمره واحده. بالرغم من انه كتب في ذروة نشاط سيمون الفكري في الستينات. صدر الكتاب في طبعته العربية في سلسلة عالم المعرفة الكويتية سنة 1983.

يا ترى لو قمنا نحن العرب بمثل ما قامت به ميري ايلين من التفتيش في تاريخنا ومخطوطاتنا، فهل نعثر على(فيلسوفات) أو(فقيهات) أو(مؤرخات) تم نفيهن واقصائهن عمدآ، لتبقى فقط الصورة النمطيه، الطافحه من الغالبية العظمى من كتب تراثنا الا وهي الصورة التي تدعمها الكثير من الاراء التي تؤدي إلى تكريس دونية المرأة في المجتمع الاسلامي. الا وهي صورة القيان، والجواري والمحظيات. ناقصات العقل.

obeikandl.com